قال ابن هشام: الفجر: العطاء، قال أبو خِرَاشٍ الْهُذَلِيُّ [من الطويل]:

عَجَّفَ أَضْيَافِي جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ بِذِي فَجَرٍ تَأْوِي إِلَيْهِ الأَرَامِلُ

قال ابن إسحاق: أبو الشعث الشجيات: هاشم بن عبد مناف.

عبد المطلب بن هاشم يلي السقاية والرفادة

قال: ثم ولي عبدُ المطلب بن هاشم السِّقَايَةَ والرِّفادة بعد عمه المطلب؛ فأقامَها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشَرُفَ في قومه شَرَفاً لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبَّهُ قومُه، وعَظُم خَطَرُه فيهم[1]

ذِكْرُ حَفْرِ زَمْزَمَ[2]

ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ بينما هُوَ نَائِمٌ فِي الحِجْرِ إِذْ أُتِى فأُمِرَ بِحَفْرِ زَمْزَمَ.

رؤيا عبد المطلب

قال ابن إسحاق: وكان أَوَّلُ ما ابتدىء به عَبْدُ المُطَّلِبِ من حفرها، كما حدثني يَزيد

---

(١) عظم خطره فيهم: أي قدره. ويقال: فيه خطر بالفتح أيضاً.

(٢) اختلفوا لم سميت بذلك؟ فقيل: لكثرة مائها. قال أبو عبيد البكري يقال ماء زمزم وزمزام: أي كثير. وفي «المُوَعب» لابن التيَّان: ماء زمزم وزمزام وهو الكثير. وقيل: لتزمزم الماء فيها، وهو حركته. والزمزمة: الصوت يسمع له دويّ. وقيل: لاجتماعها. نقل عن ابن هشام.
وقال مجاهد رحمه الله تعالى: سميت زمزم، لأنها مشتقة من الهزمة. والهزمة: الغمز بالعقب في الأرض. رواه الفاكهي بسند صحيح.
وقيل: لأنها زُمَّت بالميزان لئلا تأخذ يميناً وشمالاً. وقال البكري في معجمه: في زمزم لغات: زمزم بفتح أوله وإسكان ثانيه وفتح الزاي الثانية، وزُمْزِم بضم أوله وفتح ثانيه وتشديده وكسر الزاي الثانية، وزُمَزِم بضم أوله وفتح ثانيه بلا تشديد وكسر الزاي الثانية.
قال أبو ذر رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله ﷺ: **«إنها طعام طعم وشفاء سقم»**.
رواه أبو داود الطيالسي والطبراني والبزار، ورجاله رجال الصحيح، ورواه مسلم بدون **«وشفاء سقم»**.
وقال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: قال رسول الله ﷺ: **«ماء زمزم لما شرب له»**.
رجاله موثقون، إلا أنه اختلف في إرساله ووصله، وإرساله أصح كما قاله الحافظ.
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: قال رسول الله ﷺ: **«خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام وشفاء سقم»**.
ويذكر على بعض الألسنة أن فضيلته ما دام في محله، فإذا نقل تغير. قال في المقاصد الحسنة: وهذا شيء لا أصل له، فقد كتب ﷺ إلى سهيل بن عمرو **«إن جاءك كتابي ليلاً فلا تصبحن أو نهاراً فلا تمسين حتى تبعث إليّ بماء زمزم»**. وفيه: أنه بعث له بمزادتين، وكان حينئذ بالمدينة قبل أن تفتح مكة، وهو حديث حسن لشواهده.

بن أبي حَبيب الْمِصري، عن مَرْثد بن عبد الله الْيَزَني، عن عبد الله بن زُرَيْرٍ الْغَافقي، أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يحدث حديث زمزم حين أمر عَبْدُ المطلب بِحَفْرِهَا، قال: قال عَبْدُ المُطَّلِبِ: إني لنائم في الحِجْر إذ أتاني آتٍ فقال: احْفِرْ طَيْبَةَ[1] قال: قلت: وما طَيْبَةُ؟ قال: ثم ذهب عني، فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني، فقال: احْفِرْ بَرْةَ[2]، قال: فقلت: وما بَرَّةُ؟ قال: ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي، فَنِمْتُ فِيهِ، فَجَاءَنِي، فَقَالَ: احْفِرِ المَضْنُونَةَ[3]، قال: فَقُلْتُ: وَمَا الْمَضْنُونَةُ؟ قال: ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي، فلما كَانَ الْغَدُ رَجِعْتُ إِلَى مَضْجَعِي، فَنِمْتُ فيه، فَجَاءَنِي، فَقَال: احْفِرْ زَمْزَمَ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا زَمْزَمَ[4]؟ قال: لاَ تَنْزِفُ[5] أَبَداً وَلاَ تُذَمُّ[6]، تَسْقِي الْحَجِيجَ الأَعْظَم، وَهِيَ بَيْنَ الْفَرْثِ[7] وَالدَّم، عند نُقْرة الْغُرابِ الأَعْصَمِ[8]، عند قَرْيَة النَّمْلِ[9].

قال ابن إسحاق: فلما بُيِّن له شأنها، ودُلَّ على مَوضِعِها، وَعَرَفَ أَنَّهُ قد صُدِق؛ غدا بِمِعْوَلِهِ[10] ومعه ابنه الحرث بن عبد المطلب، لَيْسَ لَهُ يومئذٍ ولد غَيْرُه، فحفر فيها، فلما بدا لِعبد المطلبِ الطَّي[11] كَبَّرَ، فَعَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّهُ قد أَدْرَكَ حاجَتَهُ، فقامُوا إلَيه، فَقَالُوا: يَا

---

(١) طَيْبَة هو مشتق من الطيب؛ ومنه سميت مدينة الرسول عليه السلام طيبة.

(٢) برَّه: هو مشتق من البر، والبرُّ: الخير والطهارة.

(٣) المضنونة: أي الغالية النفيسة التي يضنُّ بمثلها أي: يبخل.

(٤) زمزم: أصل الزمزمة كلام بصوت لا يفهم، فشبه صوت الماء فيها بالزمزمة.

(٥) لا تنزف، أي: لا يتم ماؤها ولا يلحق قعرها. وقال السهيلي ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذا برهان عظيم، لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلى اليوم قط، وقد وقع فيها حبشي فنزحت من أجله فوجد ماؤها يفور من ثلاثة أعين أقواها وأكثرها ماء عين من ناحية الحجر الأسود.
ينظر: السبل (١/ ١٩٢).

(٦) لا تذم: أي لا توجد قليلة الماء، يقال: أذممت البئر إذا وجدتها ذمة، وهي القليلة الماء، وزاد السهيلي: وليس معناه على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أنها لا يذمها أحد، ولو كان من الذم لكان ماؤها أعذب المياه ولتضلع كل من شرب منه، وقد تقدم أنه لا يتضلع منها منافق، فماؤها إذاً مذموم عندهم. وفي النهاية: لا تُذم أي لا تعاب أو لا تُلفى مذمومة، من قولك: أذممته إذا وجدته مذموماً. وقيل: لا يوجد ماؤها قليلاً من قولهم: بئر ذمة إذا كانت قليلة الماء.
ينظر السبل (١/ ١٩٢).

(٧) الفرث: ما يكون في كرش ذي الكرش.

(٨) الغُراب الأَعْصَمُ: الذي في ساقيه بياض وهو ضرب من الغربان، والأعصم: أيضاً الوعل في غير هذا الموضع، قيل سمي أعصم لبياض في ذراعيه، وقيل لاعتصامه في الجبال.

(٩) قرية النمل: الموضع الذي يجتمع فيه النمل.

(١٠) المعول: فأس يقطع بها.

(١١) الطَيُّ: يعني طيَّ البئر.

عَنْدَ المُطَّلِبِ، إنَّها بِئْرُ أبينا إسماعيل، وَإنَّ لَنَا فيها حَقًّا، فأشْرِكْنَا معك فيها، قَالَ: مَا أَنَا بفاعل، إن هذا الأمر قد خُصِصْتُ به دُونكم، وأعطيته من بينكم، فقالوا له: فأنْصِفْنَا (٢٦/أ) فإنَّا غيرُ تاركيك حَتَّى نخاصمك فيها، قَالَ: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه،

قالوا: كاهنة بني سعد هُذَيم[١]، قال: نعم، قال: وَكَانَتْ بِأشْرَافِ الشَّام[٢]، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عَبْدِ مَنَافٍ، وَرَكِبَ مِنْ كُلِّ قبيلة من قريش نَفَرٌ، قال: والأَرْضُ إذْ ذاكَ مَفَاوِزُ، قال: فَخَرَجُوا حَتَّى إذَا كَانُوا ببعض تِلْكَ الْمَفَاوِزِ[٣] بين الحجازِ والشَّامِ فَنِيَ ماءُ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَأَصْحَابِهِ فَظمئوا[٤] حتى أيقنوا بالهَلَكَةِ، فَاسْتَسْقُوا مَنْ معهم من قبائِلِ قريش، فأبَوْا عليهم، فقالوا: إنَّا بِمَفَازَةٍ، وَنَحْنُ نَخشى عَلَى أنفسنا مِثْلَ مَا أَصَابَكُمْ، فَلَمَّا رَأى عَبْدُ المُطَّلِبَ ما صنع القوم وما يَتَخَوَّفُ على نفسهِ وأصحابه قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأيْنَا إلاَّ تَبَعٌ لرأيك، فمرنا بما شئت، قالَ: فإني أرى أَنْ يحفر كُلُّ رجل منكم حُفْرَته لنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مَاتَ رَجُلٌ دفعه أصحابُهُ في حفرته، ثم وارَوْه، حَتَّى يكون آخركم رجلاً واحداً، فضَيْعةُ رجلٍ واحدٍ أيسر من ضيعةِ رَكْبٍ جميعاً، قَالُوا: نِعْمَ ما أَمَرْتَ به، فقام كل وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَحَفَرَ حُفْرَتَهُ، ثُمَّ قَعَدُوا ينتظرون الْمَوْتَ عَضَشاً، ثُمَّ إنَّ عَبْدَ المُطَّلِبِ قَالَ لأصحابه: واللهِ إن إلقَاءَنا بأيدينا هكذا لِلْمَوتِ لا نَضْرِبُ في الأرضِ ولا نبتغي لأنفسنَا لَعَجْزٌ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يرزقَنَا مَاءً بِبَعْضِ الْبِلاَدِ، ارْتَحِلُوا؛ فارْتَحَلُوا، حَتَّى إذَا فَرَغُوا ومَنْ معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هُمْ فاعلونَ تَقَدَّم عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت[٥] به انفجرت من تحت خُفِّها عَيْنٌ من ماءٍ عذبٍ، فكبَّر عَبْدُ المُطَّلِبِ، وكَبَّر أَصْحَابُهُ، ثم نَزَلَ فَشَرِبَ وَشَرِبَ أَصْحَابُهُ، واستقوا حتى ملأوا أسقيتهم، ثُمَّ دَعَا القَبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: هَلُمَّ إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واسْتَقُوا، فجاءوا فَشَرِبُوا واسْتَقُوا، ثُمَّ قَالُوا: قَدْ واللهِ قُضِيَ لك علينا يا عبد المطلب، واللهِ لا نخاصمك في زمزم أبداً، إنَّ الذي سقاك هذا الماءَ بهذه الفلاة لَهُوَ الذي سَقَاكَ زَمْزَمَ،

---

(١) كاهنة بني سعد بن هذيم؛ كذا روي هنا، ورواه ابن سراج سعد هذيم بإسقاط ابن وهو الصَّواب؛ لأن هُذَيماً لم يكن أباه وإنما كفله بعد أبيه فأُضيف إليه وهذا النحو كثير.

(٢) أشراف الشام: ما ارتفع من أرضه، واحده شرف تقول: قعدت على شرف من الأرض أي على مكان مرتفع.

(٣) المفاوزُ: القفار، واحدتها مفازة، وسميت مفازة على جهة التفاؤل وقيل بل هي مشتقة من فوَزَ الرجل إذا هلك.

(٤) ظمئُوا: أي عطشوا.

(٥) انبعثت به راحلته، أي: قامت من بروكها.

فارجع إلى سقايتك راشِداً، فَرَجَعَ وَرَجعُوا معه، ولم يصلوا إلى الكَاهِنَةِ، وخَلّوْا بينه وَبَيْنَها.

قال ابن إسحاق: فهذا الَّذي بَلَغَنِي من حَدِيثَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عنه في زَمْزَمَ [١٠٦].

وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم [من الرجز]:

ثُـمَّ ٱدْعُ بِـالْـمَـاءِ الـرَّوِي غَـيْـرِ الْـكَـدِرْ يَـسْـقِـي حَـجِـيـجَ الـلّـهِ فِـي كُـلِّ مَـبَـرْ[1]
لَـيْـسَ يُـخَـافُ مِـنْـهُ شَـيْءٌ مَـا عَـمَـرْ[2]

فَخَرَجَ عَبْدُ المُطَّلِبِ ـحين قيل له ذلكَ ـ إلى قُرَيْشٍ، فَقَالَ: تَعْلَمُوا أَنِّي قد أُمِرْتُ أن أَحْفِر لكم زمزم، فقالوا: فهل بُيِّن لك أين هي؟ قال: لا، قالوا: فارجع إلى مَضْجَعِكَ الَّذي رأيتَ فيه ما رأيتَ، فإن يَكُ حقًّا من الله يبين لكَ، وإنْ يكُ من الشَّيْطَانِ فلن يعود إِلَيْكَ، فَرَجِعَ عَبْدُ المُطَّلِبِ إلى مضجِعِهِ، فَنَامَ فيه، فأُتي فقيل له: احْفِرْ زمزم، إِنَّكَ إِنْ حَفَرْتَهَا لم تندم، وهي تُرَاثٌ من أبيك الأعظم[3]، لاَ تَنْزِفُ أبداً ولا تُذَم (٢٦/ب)، تَسْقِي الحجيجَ الأَعْظَمَ، مِثل نعامٍ جافلٍ[4] لم يُقْسَم، يَنْذِر فيها ناذرٌ لمنعمٍ، تكون ميراثاً وعَقْداً

---

[١٠٦] إسناده حسن، ويزيد بن أبي حبيب المصري، ثقة روى له الجماعة. قال أبو سعيد بن يونس: كان مفتي أهل مصر في أيامه وكان حليماً عاقلاً وكان أول من أظهر العلم بمصر.
ينظر «تهذيب الكمال» (٣٢/ ١٠٥). ومرثد بن عبد الله اليزني. روى له الجماعة أيضاً. وقال ابن يونس: كان مفتي أهل مصر في زمانه وكان عبد العزيز بن مروان يحضره فيجلسه للفتيا. ينظر التهذيب (٢٧/ ٣٥٨) وعبد الله بن زرير الغافقي. قال العجلي: تابعي ثقة. وقال ابن سعد: كان ثقة وله أحاديث. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال الحافظ في «التقريب»: ثقة رمى بالتشيع. ينظر «تهذيب الكمال» (١٤/ ٥١٨) والتقريب (١/ ٤١٥). والأثر أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٩٣ ـ ٩٧) من طريق يونس بن بكير حدثني ابن إسحاق بهذا الإسناد. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) قال الخُشني: الرَّوي: هو الماء الكثير، وإذا فُتحت الراء مد وربما قصر في الشعر. في كل مُبرّ: هو مُفعل من البِرّ. يريد في مناسك الحج ومواضع الطاعة.

(٢) ما عَمَرْ: من العُمُر أي: ما بقي، وعند الخشني يرويه: ما غبر، أي: ما بقي وغبر من الأضداد يكون بمعنى بقي، وبمعنى ذهب.
ينظر: البداية والنهاية (٢/ ٣٠٤)، وسبل الهدى والرشاد (١/ ١٨٨).

(٣) تراث من أبيك: أي ميراث، وأصل تراث وراث، فأبدلوا الواو تاء.

(٤) الجافِلُ: الكثير الذي يجيء ويذهب، وهو السريع أيضاً. ومن رواه: حافلٌ بالحاء المهملة: فمعناه أيضاً الكثير، من الحَفْلِ وهو اجتماع الناس.

محكم، ليست كبعض ما قد تعلم، وهي بين الفَرْثِ والدَّمِ [١٠٧].

قال ابن هشام: هذا الكلام والكلام الذي قبله من حديث علي في حفر زمزم: من قوله «لا تنزف أبداً ولا تذم» إلى قوله «عند قرية النمل» عندنا سَجْعٌ وليس شعرًا.

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه ـ حين قيل له ذلك ـ قَالَ: وَأَيْنَ هِيَ؟ قِيْلَ لَهُ: عِنْد قَرْية النَّمْلِ، حيث يَنْقُرِ الغرابُ غَدًا[1]؛ واللهُ أعْلَمُ أيُّ ذَلِكَ كَانَ فغدا عَبْدُ المُطَّلِبِ ـ ومعه ابْنُهُ الحَرِثُ، وليس له يومئذ ولد غيره ـ فوجد قرْيَةَ النمل ووجَد الغراب يَنْقُرُ عندها بين الْوَثَنَيْنِ إسَافٍ ونَائِلَةِ اللَّذَيْن كانت قريش تَنْحَر عندهما ذَبَائِحَهَا، فجاء بِالْمِعْولِ، وقام ليحفر حَيْثُ أُمر، فقامت إليه قريش حين رأوا جِدَّه، فقالوا: واللهِ لا نتركك تحفر بين وثَنَيْنَا هذين

---

[١٠٧] ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٠٤) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) قال السهيلي أيضاً: دُلَّ عبد المطلب على زمزم بعلامات ثلاث: بنَقْرَة الغراب الأعصم، وأنها بين الفرْث والدم، وعند قرية النمل، ولم يخص هذه العلامات الثلاث إلا بحكمة إلهية وفائدة مشاكلة لطيفة في علم التعبير والتوسّم الصادق لمعنى زمزم ومائها. أما الفرث والدم: فإن ماءها طعام طُعْم وشفاء سُقم. وهي لما شُربت له، وقد تقوَّت من مائها أبو ذر ـ رضي الله تعالى عنه ـ ثلاثين ما بين ليلة ويوم فسَمِن حتى تكسّرت عُكَن بطنه، فهي إذاً كما قال رسول الله ﷺ في اللبَن: «**إذا شرب أحدكم اللبن فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإنه ليس شيء يسدُّ مسدَّ الطعام والشراب إلا اللبن**» وقد قال الله تعالى: ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ فظهرت هذه السُّقيا المباركة بين الفَرْث والدم، وكانت تلك من دلائلها المشاكلة لمعناها.

وأما الغراب: فهو في التأويل فاسق، وهو أسود، فدلت نقرته عند الكعبة على نقرة الأسود الحبشي بمعْوَله في أساس الكعبة بهدمها آخر الزمان، فكأن نقرة الغراب في ذلك المكان تؤذن بما يفعله الفاسق في آخر الزمان بقِبْلة الرحمن وسُقْيا أهل الإيمان، وذلك عندما يُرفع القرآن. وتحيا عبادة الأوثان.

وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ: «**ليخربن الكعبة ذو السُّويقتَيْن من الحبشة**» وفيه أيضاً من صفته أنه أفحج، وهذا ينظر إلى كون الغراب أعصم، إذ الفحج: تَبَاعُدٌ في الرجلين، كما أن العصم اختلاف فيهما، والإختلاف تباعد، وقد عرف بذي السويقتين، كما نعت الغراب بصفة في ساقيه فتأمّله. وهذا من خَفِيّ علم التعبير، لأنها كانت رؤيا.

وأما قرية النمل ففيها من المشاكلة أيضاً والمناسبة: أن زمزم عين مكة التي يردها الحجيج والعُمَّار من كل جانب، فيحملون لها البر والشعير وغير ذلك، وهي لا تزرع ولا تحرث، كما قال سبحانه وتعالى خبراً عن إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ الآية. وقرية النمل كذلك، لأن النمل لا تحرث ولا تزرع وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب، ومكة كذلك، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ مع أن لفظ قرية النمل مأخوذ من قريت الماء في الحوض إذا جمعته، والرؤيا تعبر على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى، فقد اجتمع اللفظ والمعنى في هذا التأويل. والله تعالى أعلم.

ينظر: سبل الهدى والرشاد (١/ ١٩٠).

اللذين ننحر عندهما، فقال عبد المطلب لابنه الحرث: ذُدْ عَنِّي[1] حَتَّى أَحْفِرَ، فوالله لأَمْضِيَنَّ لما أُمرت به، فلما عَرَفُوا أنَّه غَيْرُ نَازِعٍ خَلَّوْا بينه وبين الحَفْرِ، وكَفُّوا عَنْهُ، فَلَمْ يحفر إلاَّ يسيراً حتى بدا له الطَّيُّ[2] فكبر، وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ صُدقَ، فلمَّا تمادَى به الحَفْرُ وَجَدَ فِيهَا غَزَالَيْن من ذَهَبٍ ـ وهما الغزالان اللذان دفنت جُرْهُم فيها حين خرجت من مكة ـ ووجد فيها أسيافاً قَلْعِيَّة[3] وأدراعاً، فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: يَا عَبْدَ المُطَّلِبِ، لَنَا مَعَكَ في هذا شِرْكٌ وحَقّ، قال: لا، ولكن هلم إلى أمْرٍ نَصَفٍ[4] بيني وبينكم، نَضْرِبُ عَلَيْهَا بِالْقِدَاحِ[5] قالوا: وَكَيْفَ تَصْنَعُ؟ قال: أَجْعَلُ للكعبةِ قِدْحين، ولي قِدْحين، ولكم قِدْحين؛ فمن خَرَجَ لَهُ قَدَحَاهُ عَلَى شَيءٍ كَانَ لَهُ، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له، قالوا: أنصفت، فجعل قِدْحَين أصفرين للكعبة، وقِدْحين أسودين لعبد المطلب، وقِدْحين أبيضين لقريش، ثم أعطوا القداح صاحب القداح الذي يضرب بها عند هُبَل (وهُبَل: صنم في جوف الكعبة، وَهُوَ أَعْظَمُ أَصْنَامِهِمْ، وَهُوَ الَّذِي يَعْنِي أبو سُفْيَانَ بن حَرْبٍ يوم أُحُدٍ حين قال: أَعْلِ هُبَلُ، أي: أظهر دينك) وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، فضرب صاحب القداح؛ فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المُطَّلِبِ، وتخلف قِدْحا قُرَيْشٍ؛ فَضَرَبَ عَبْدُ المُطَّلِبِ الأَسْيَافَ بَاباً لِلكَعْبَةِ، وَضَرَبَ في البابِ الغزالين من ذَهَبٍ، فكان أولَ ذهب حُلِّيَتْهُ الكعبة، فيما يزعمون، ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج [١٠٨].

البئار التي حفرتها قريش بمكة قبل حفر زمزم

قال ابن هشام: وَكَانَتْ قُرَيْشٌ ـ قَبْلَ حَفْرِ زمزم ـ قد احتفرت بِئَاراً بمكَّةَ، فيما حدثنا زياد بن عبد الله الْبَكَّائِيّ، عن محمد بن إسحاق، قال: حَفَرَ عبدُ شمس بن عبد مناف الطَّوىَ[6]، وهي البئر التي بأعلى مكة عند البيضاء دار محمد بن يوسف.

---

[١٠٨] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٠٤) عن ابن إسحاق.

---

(١) ذُدْ عني: أي امنع عني، يقال ذاد يذود، إذا منع.

(٢) قال الخشني: ويقال: الطَّوى وكلٌّ بمعنى واحد، فليس كذلك؛ لأن الطَّيَّ يعني: الحجارة التي طُوي بها البئر، سميت بالمصدر والطَّوى: هي البئر نفسها.

(٣) أسيافاً قلعية: هي منسوبة إلى موضع بالهند من جهة الصين. والقلعة: الموضع المرتفع.

(٤) النَّصَفُ والنَّصَفُ: من الانتصاف.

(٥) القِداحُ: السِّهام التي كانوا يستقسمون بها.

(٦) الطَّوىَ: بالفتح ثم الكسر، وتشديد الياء، وهي البئر المطوية بالحجارة، وجمعها أطواء: وهو جبل =

بذر

وحفر هاشمُ بن عبد مناف بَذْرَ، وهي البئر التي (٢٧/أ) عند الْمُسْتَنْذَرِ[١] خَطْمِ الْخَنْدَمَةِ[٢] على فَمِ شِعْب أبي طالب، وزعموا أنه قال حين حفرها: لأَجْعَلَنَّهَا بَلاَغاً للناس.

قال ابن هشام: وقال الشاعر [من الطويل]:

سَقَى اللّهُ أَمْوَاهاً عَرَفْتُ مَكَانَهَا جُرَاباً وَمَلْكُوماً وَبَذْرَ وَالْغَمْرَا[٣].

سجلة

قال ابن إسحاق: وَحَفَرَ سَجْلَةَ[٤]، وهي بئر المطعم بن عَدِيِّ بن نوفل بن عبد مناف التي يسقون عليها اليوم؛ ويزعم بنو نوفل أن المطعم ابتاعها مِنْ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ، ويزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم فاستغنوا بها عن تلك الآبار.

الحفر

وَحَفَرَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ الْحَفْرَ لنفسه.

= وبئار في ديار محارب، ويقال للجبل قرن الطوي، وقد ذكره زهير وعنترة العبسي في شعرهما، وقال الزبير بن أبي بكر: الطويُّ بئر حفرها عبد شمس بن عبد مناف وهي التي بأعلى مكة عند البيضاء دار محمد بن سيف، فقالت سبيعة بنت عبد شمس [من الكامل]:

إنّ الطَّوِيَّ إذا ذكرتم ماءها صوبُ السحاب عذوبةً وصفاء

ينظر معجم البلدان ٤/٥٨.

(١) عند المستنذر: هو موضع.

(٢) الخَنْدَمَةُ: موضع أيضاً، وخَطْمُها: ما خرج منها، وخطم الجبل: ما خرج منه ونتأ من بعض حجارته.

(٣) سَجْلَةُ وَبَذْرُ وَرُمْ وأشباهها مما ذكر: أسماء آبار.
ينظر: ديوانه (ص: ٥٠٣)، وخزانة الأدب (٢/ ٣٥٥)، وشرح المفصل (١/ ٦١)، ولسان العرب (٤/ ٥١) (بذر)، وبلا نسبة في ما ينصرف وما لا ينصرف (ص: ٢١)، والمنصف (٢/ ١٥٠)، (٣/ ١٢١).

(٤) سَجْلَةُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، ـ سجن والسجل: الدلو إذا كان فيها ماء قل أو كثر، ولا يقال لها وهي فارغة سجل، وأسجلتُ الحوض إذا ملأته: وهي بئر حفرها هاشم بن عبد مناف فوهبها أسد بن هاشم لعدي بن نوفل ولم يكن لأسد بن هاشم عقب، وقالت خالدة بنت هاشم [من الرجز]:

نحن وهبنا لعدي سَجْلَه تَرْوي الحجيجَ زُغْلَةً فزُغْلَهْ

وقيل: حفرها قصيّ. قال البكري في معجمه / ٧٢٤.
سجلة: بئر احتفرها قصي بمكة، وقال:

أنا قصي وحفرت سجله تروي الحجيج زغلة فزغله

ينظر معجم البلدان ٣/ ٢١٧.

سقية

وحَفَرَتْ بنو أسد بن عبد الْعُزَّى سُقَيَّة[1]، وهي بِئْرُ بَنِي أَسَدٍ.

أم أحراد

وحفرت بنو عبد الدار أمَّ أحْرَادٍ[2].

السنبلة

وحفرت بَنُو جُمَحَ السُّنْبُلَةَ[3]، وهي بئر خَلَف بن وَهْب.

الغمر

وَحَفَرَتْ بنو سَهْمٍ الْغَمْرَ[4]، وهي بئر بني سَهْمٍ.

---

(١) سُقَيَّةُ: بلفظ تصغير سقية، وقد رواها قوم شُفَيَّة، بالشين المعجمة والفاء: وهي بئر قديمة كانت بـ «مكة»، قال أبو عبيدة: وحفرت بنو أسد شفية، فقال الحويرث بن أسد [من الرجز]:

ماء شُفَيَّةٍ كصَوْبِ المُزْنِ ... وليس ماؤها بطَرْق أَجْنِ

قال الزبير: وخالفه عمي فقال: إنما هي سقيَّة، بالسين المهملة والقاف.

ينظر: معجم البلدان (٣/ ٢٥٩).

(٢) أَحْرَاد: جمع حريد، وهو المنفرد عن محلة القوم، وقيل: أحراد جمع حِرْد، وهي القطعة من السِّنام، وكان هذا الموضع، إن كان سمي بذلك، فلأنه ينبت الشحم، ويسمُن الإبل. والحرد: القطا الواردة للماء، فيكون سمي بذلك، لأن القطا ترده، فيكون به أحراد، جمع حرد بالضم: وهي بئر بمكة قديمة. روى الزبير بن بكار عن أبي عبيدة في ذكر آبار مكة، قال: احتفرت كل قبيلة من قريش في رباعهم بئراً، فاحتفرت بنو عبد العزى شُفَيَّة ـ والصواب بالمهملة ـ وبنو عبد الدار أم أحراد، وبنو جمح السنبلة، وبنو تميم بن مرة الجَفْرَ، وبنو زهرة الغَمْرَ، قالت أميمة بنت عميلة، امرأة العوام بن خويلد [من الرجز]:

نحن حفرنا البحر أمَّ أحرادْ، ... ليست كبَذْرَ النَّزُورِ الجَمّاد

فأجابتها ضرتها صفية:

نحن حفرنا بَذْرْ
نَسْقي الحجيج الأكبرْ
وأم أحراد شرّ

ينظر: معجم البلدان (١/ ١٣٦).

(٣) سُنْبُلَةُ: بلفظ سنبلة الزرع: بئر حفرها بنو جمَحَ بـ «مكة»، وفيها قال قائلهم [من الرجز]:

نحن حفرنا للحجيج سُنْبُلَهْ

ورواه الأزهري بالفتح والأول رواية العمراني، وما أراه إلا سهواً من العمراني، وقال نصر: سنبلة، بالضم، بئر بـ «مكة»، قال أبو عبيدة: وحفرت بنو جُمَح السنبلة، وهي بئر خلف بن وهب، قال بعضهم:

نحنُ حفَرنا للحجيج سُنْبُلَهْ ... صَوْبَ سَحابٍ، ذو الجلال أَنزلَهْ

وأنا بالأزهري أوثق ومن خطه نقلت.

ينظر: معجم البلدان (٣/ ٢٩٦).

(٤) الغَمْرُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وهو الماء الكثير المغرق، وثوب غمر إذا كان سابغاً، والغمر: =

رم وغم والحفر

وكانت آبار حفائر خارجاً من مكة قديمة: من عهد مُرَّة بن كَعْبٍ وكلاب بن مرة وكبراء قريش الأوائل، منها يشربون، وهي: رُمّ، ورُمّ[1]: بئر مرة بن كعب بن لؤي، وخم، وخم[2]: بئر بني كِلاَبِ بن مرة، والحَفْرُ، قال حُذَيْفة بن غانم أخو بني عَدِيّ بن كَعْب بن لُؤَي (قال ابن هشام: وهو أبو أبي جَهْم بن حذيفة) [من الطويل]:

وَقِدْماً غَنِينَا قَبْلَ ذَلِكَ حِقْبَةً ... وَلاَ نَسْتَقِي إلاَّ بِخُمٍّ أَوِ الْحَفْرِ

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها ـ إن شاء الله ـ في موضعها.

ظهور زمزم ينسي جميع البئار

قال ابن إسحاق: فعَفَّتْ زَمْزَمُ عَلَى الْمِيَاهِ[3] الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهَا يَسْقِي عَلَيْهَا الحَاجُّ، وانصرف النَّاسُ إِلَيْهَا؛ لِمَكَانِهَا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَلِفَضْلِهَا عَلَى مَا سِوَاهَا من المياهِ؛ ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب [١٠٩]: فقال مُسَافر بن أبي عَمْرو بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف: وهو يَفْخَرُ عَلَى قُرَيْشٍ: بِما ولوا عليهم من السِّقَايَةِ والرِّفَادةِ، وما أَقَامُوا لِلنَّاسِ مِنْ

---

[١٠٩] ينظر «البداية والنهاية» (٢/ ٣٠٥).

= بئر قديمة بـ «مكة» قال أبو عبيدة: وحفرت بنو سهم الغمر، فقال بعضهم [من الرجز]:

نحن حفَرْنا الغَمْرَ للحجيج ... تَثُجُّ ماءً أَيّما ثجيج

ينظر: معجم البلدان (٤/ ٢٣٩).

(١) رُمٌّ: بضم أوله، قال ابن السكيت في قوله: ما له ثُمّ ولا رُمّ، الثمّ: قماش البيت، والرّم: مرمّة البيت، قال أبو عبيدة: رم، بضم الراء، بئر بـ «مكة» من حفائر مرة بن كعب ثم من حفائر كلاب من مرة حفر رم والحفر، وهما بئران بظاهر مكة ومنهما كانوا يشربون قبل أن يهبطوا إلى البطحاء ثم سموا برُمّ وبالحفر بعد ذلك غيرهما حين احتفروا بالبطحاء، وهي عند دار خديجة زوجة النبي، ﷺ.
ينظر: معجم البلدان (٣/ ٨٠ ـ ٨١).

(٢) خُمٌّ: اسم موضع غدير خُمّ؛ خم في اللغة: قَفصُ الدجاج، فإن كان منقولاً من الفعل فيجوز أن يكون مما لم يسم فاعله من قولهم خم الشيء إذا ترك في الخم، وهو حبس الدجاج، وخم إذا نَطَف؛ كله عن الزهري؛ قال السهيلي عن ابن إسحاق: وخمٌّ بئر كلاب بن مرة، من خممت البيت إذا كنسته، ويقال: فلان مخموم القلب أي نقيه، فكأنها سميت بذلك لنقائها؛ قال الزمخشري: خم اسم رجل صباغ أضيف إليه الغدير الذي هو بين مكة والمدينة بالجحفة، وقيل: هو على ثلاثة أميال من الجحفة، وذكر صاحب المشارق أن خمًا اسم غيضة هناك وبها غدير نسب إليها.
ينظر: معجم البلدان (٢/ ٤٤٥).

(٣) فعَفَّتْ زمزم على البئار: أي غطت عليها وأذهبتها، من قولهم: عفى على الأثر إذا أذهبه.

ذَلِكَ، وبزمزم حين ظهرت لهم، وإنما كان بنو عبد مناف أهلَ بيتٍ واحد، شرفُ بعضهم لبعض شَرَفٌ، وفضلُ بعضهم لبعض فَضْلٌ [من مجزوء الوافر]:

وَرِثْنَا الْمَجْدَ مِنْ آبَا ... ئِنَا فَنَمَىٰ بِنَا صُعُدَا
أَلَمْ نَسُقِ الْحَجِيجَ وَنَنْـ ... ـحَرِ الدَّلاَّفَةَ الرُّفُدَا[1]
وَنُلْفَىٰ عِنْدَ تَضْرِيفِ الْـ ... ـمَنَايَا شُدَّداً رُفُدَا؟[2]
فَإِنْ نَهْلِكْ فَلَمْ نُمْلَكْ ... وَمَنْ ذَا خَالِدٌ أَبَدَا؟![3]
وَزَمْزَمُ فِي أَرُومَتِنَا ... وَنَفْقَأُ عَيْنَ مَنْ حَسَدَا[4]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال حُذَيْفَةُ بن غانم أخو بني عَدِيِّ بن كعب بن لؤي [من الطويل]:

وَسَاقِي الْحَجِيجِ ثُمَّ لِلْخَيْرِ هَاشِمٌ ... وَعَبْدُ مَنَافٍ ذَلِكَ الْـ[5]ـيْدُ الْفِهْرِي
طَوَىٰ زَمْزَماً عِنْدَ الْمَقَامِ فَأَصْبَحَتْ ... سِقَايَتُهُ فَخْراً عَلَىٰ كُلِّ ذِي فَخْرِ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يعني عَبْدَ المُطَّلِبِ بن هاشم، وهذان البيتان في قصيدة لحذيفة بن غانم سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

عبد المطلب ينذر ذبح ولد من أولاده

قال ابن إسحاق: وكان عَبْدُ المُطَّلِبِ بْنُ هَاشِم، فيما يزعمون ـ واللهُ أعْلَمُ ـ قد نَذَرَ حِينَ لقِي من قُرَيْشٍ ما لقي عند حفر زمزمَ ـ لئن وُلِد له عشرةُ (٢٧/ ب) نفرٍ ثم بلغوا معه حَتَّى يمنعوه لَيَنْحَرَنَّ أحدَهُم لله عند الكَعْبَةِ؛ فلما توافى بَنُوه عَشَرَةً، وعرف أنهم سَيَمْنَعُونَهُ؛ جَمَعَهَم ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِنَذْرِهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْوفَاءِ للهِ بذلك، فأطاعُوهُ، وقَالُوا: كَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: ليأخُذْ كُلُّ رَجُلٍ منكم قِدْحاً، ثم يكتب فيه اسْمَهُ، ثُمَّ ائتُوني، ففعلوا ثم

---

(١) الدَّلاَّفَةُ: يريد بها هنا الإبل التي تمشي متمهلة لكثرة سمنها. يقال: دَلَفَ الشيخ دليفاً إذا مشى مشياً ضعيفاً وهو فوق الدبيب، والرُّفُد: جمع رفود، وهي التي تملأ الرِّفد وهو قدح يحلب فيه. وينظر: لسان العرب (رفد)، وتاج العروس (رفد) ويروى «المذلاقة» بدل «الدلاقة».

(٢) رُفُداً: هو من الرِّفد وهو الإعطاء.

(٣) فلم نُمْلَك: أي لم يكن علينا وال ولا ملك. ومن رواه: فلم نملك: فمعناه لم نَمْلِكِ المنية.

(٤) في أَرُومَتِنا: أي في أصلنا.

(٥) الفهري: المنسوب إلى فهر، وروي بالغين، وبالقاف، فالغَمْرُ: الكثير العطاء، ومن رواه القهر، فمعناه: القاهر، وصفه بالمصدر، كما يقال رجل عدل ورَضيّ، وذكر البلاذري البيت الأول في أنساب الأشراف. ينظر: أنساب الأشراف (١/ ٦٦).

أتوهُ، فَدَخَلَ بِهِمْ عَلَى هُبَلَ في جوف الكعبة.

القداح عند هبل وصنيع العرب فيها

وَكَانَ هُبَلُ على بئر في جوف الكعبة، وكانتْ تِلْكَ البئر هي الَّتِي يُجْمَع فيها ما يُهْدَى للكعبة، وكان عند هُبَلَ قِدَاحٌ سبعة كل قدح منها فيه كتاب: قِدْحٌ منها فيه «الْعَقْل» إذا اختلفوا في الْعَقْل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة فإن خرج العقل فعلى من خرج حَمْله، وقِدْحٌ فيه «نعم» للأمر إذا أرادوه يضرب به في الْقِدَاحِ فَإِنْ خَرَجَ قِدْحُ «نعم» عملوا به، وقدح فيه «لاَ» إِذَا أَرَادُوا أَمْراً ضَرَبُوا بِهِ في القِدَاح فإِنْ خَرَجَ ذَلِكَ القِدْحُ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ الأَمْرَ، وقدح فيه «مِنْكُمْ»، وقدح فيه «مُلْصَق»، وقدح فيه «مِنْ غَيْرِكُمْ»، وقدح فيه «الْمِيَاهُ» إِذَا أرادُوا أَنْ يَحْفِرُوا للماء ضَرَبُوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به، وكانوا إذا أَرَادُوا أَنْ يَخْتِنُوا غلاماً، أو ينكحوا مَنْكَحاً، أو يدفنوا ميتاً، أو شكُّوا في نَسَبِ أَحَدِهِمْ؛ ذهبوا به إلى هُبَلَ، وبمائِة درهم وجَزُور فأعْطَوْها صَاحِبَ القِدَاحَ الذي يضرب بها، ثم قَرَّبُوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثُمَّ قالوا: يا إِلٰهَنا، هذا فلان ابن فلان، قد أردنا به كذا وكذا، فَأَخْرَجَ الحقَّ فيه؛ ثم يقولون لصاحب القداح: اضْرِبْ، فَإِنْ خَرَجَ عليه «مِنْكُم» كَانَ مِنْهُمْ وَسِيطاً[1] وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ «مِنْ غَيْرِكُمْ» كان حليفاً، وإن خرج عليه «مُلْصَق» كان على منزلته فيهم لا نسَب له ولا حِلْف، وإن خرج فيه شيء مما سوى هذا مما يعملون به «نعم» عملوا به، وَإِنْ خَرَجَ «لا» أَخَّرُوه عَامَه ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى، ينتهون في أمورهم إِلَى ذَلِكَ مِمَّا خَرَجَتْ بِهِ القِدَاحُ.

عبد المطلب يستهم على بنيه ليذبح أحدهم

فقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضْرِبْ على بَنِيَّ هؤلاء بِقِدَاحِهم هذه، وأَخْبَرَهُ بنذره الذي نذر، فأعطاه كلُّ رجل منهم قِدْحَه الذي فيه اسمه، وكان عبد الله بن عبد المطلب أَصْغَرَ[2] بني أبيه، كَانَ هو والزُّبَيْرُ وأبو طالب لفاطِمَةَ بنت عَمْرو بن عائذ بن عَبْد بن عِمْران بن مَخْزوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.

قال ابن هشام: عائذ: ابنُ عِمْران بن مَخْزوم.

قال ابن إسحاق: وَكَانَ عَبْدُ الله، فِيمَا يَزْعُمُونَ، أحبَّ ولد عبد المطلب إليه، وكانَ

---

(١) كان منهم وسيطاً: يعني خالص النسب فيهم، يقال: فلان وسيط في قومه إذا كان خالص النسب فيهم، ويقال: هو الشريف في قومه أيضاً، لأن النشب الكريم داربه من كل جهة وهو وسط.

(٢) وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغر بني أبيه: يعني أنه كان أصغر بني أبيه في ذلك الوقت، وإلا فالعباس وحمزة أصغر من عبد الله، فعلى هذا يخرج قول ابن إسحاق.

عَبْدُ المُطَّلِبِ يَرَى أَنَّ السَّهْمَ إذا أخطأَهُ فَقَد أَشْوَى[1] وهو أَبُو رَسُولِ الله ﷺ.

عبد المطلب يهم بذبح عبد الله فتمنعه قريش

فلما أَخذَ صَاحبُ القِدَاحِ القِدَاحَ ليضربَ بِهَا قَامَ عَبْدُ المُطَّلِب عِنْدَ هُبَلَ يَدْعُو اللهِ، ثُمَ ضَرَبَ صَاحِبُ القِدَاحِ فَخَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى عَبْدِ اللهِ، فَأَخَذَهُ عَبْدُ المُطَّلِبِ بِيده وأَخَذَ الشَّفْرَةَ ثُمَّ أَقبل بِهِ إِلَى إِسافٍ وَنائلة ليذبحه، فَقَامَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ من أنديتها، فَقَالُوا: ماذا تريد يا عَبْدَ المُطَّلِبِ؟ قال: أَذْبَحُهُ، فقالَتْ له قريش وبَنُوه: والله لا تذبحه أبداً حتى تُعْذِرَ فيه، لَئِنْ فعلتَ هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه (٢٨/ أ) حتى يَذْبَحَهُ، فما بقاء الناس على هذا؟ وقال له المغيرة بن عبد الله بن عَمْرو بن مخزوم بن يَقَظة ـ وكان عبد الله ابن أخت القوم ـ: والله لا تذبحه أبداً حتى تُعْذِرَ فيه، فإن كانَ فداؤه بأموالنا فديناه، وقالت له قريش وبَنُوه: لا تفعل، وانطلق به إلى الحِجازِ فَإِنَّ به عَرَّافَةً[2] لها تابع فَسَلْها، وأنت على رأس أمرك: إن أمرتك بذبحه ذَبحته، وَإِنْ أمرتك بأمرٍ لك وله فيه فَرَجٌ قبلته، فانطلقوا حتى قدموا المَدِينَةَ، فوجدوها ـ فيما يزعمون ـ بخيبر فركبوا حَتَّى جاءُوهَا، فسألوها، وقصَّ عليها عبد المطلب خَبَرَه وخبر ابنه، وَمَا أَرَادَ بِهِ، ونَذْرَه فيه، فَقَالَتْ لَهُمْ: ارجعوا عَنِّي اليوم حتى يأْتيني تابعي فأسأله، فَرَجعوا من عندها.

نجاة عبد الله بمائة من الإبل

فَلمَّا خرجوا عَنْهَا قام عبد المطلب يَدْعُوَ اللّهَ، ثُمَّ غَدَوْا عليها، فَقَالَتْ لَهُمْ: قد جاءني الخبر، كم الدِّيَةُ فيكم؟ قالوا: عَشْرٌ من الإبل، وكانت كذلك، قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم قَرِّبوا صاحبكم وقَرِّبوا عَشْراً من الإبل ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح: فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، فإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحِبُكُم، فخرجوا حتى قدموا مَكَّةَ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يَدْعُو الله، ثم قَرَّبوا عبدَ الله وعَشْراً من الإبل، وعبدُ المطلب قائم عند هُبَلَ يدعو اللهَ عَزَّ وجَلَّ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ عَلى عَبْدِ اللهِ، فزادوا عَشْراً من الإبل، فبلغت الإبل عشرين، وقام عبد المطلب يدعو الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله، فزادوا عَشْراً من الإبل، فبلغت الإبل ثلاثين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عَبْدِ الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبلُ أربعين، وقام عبد المطلب يَدعو اللهَ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من

---

(١) فقد أَشْوَى: يعني فقد أبقى، يقال أَشْوَيْتَ من الطعام إذا أبقيت منه.

(٢) فإن به عرَّافة: اسم هذه العرافة قطبة فيما ذكر عبد الغني ـ رحمه الله ـ.

الإبل، فبلغت الإبل خمسين، وقام عبد المطلب يَدْعُو الله، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عَبْدِ اللهِ، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبلُ ستين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل سبعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ثمانين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل تسعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل مائةً، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على الإبل، فقالت قريش ومَنْ حَضَر: قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب، فزعموا أن عبد المطلب قال: لا والله، حتى أضْرِبَ عليها ثلاث مرات، فضربوا على عبد الله وعلى الإبل، وقام عبد المطلب يدعو الله، فخرج القِدْحُ على الإبل؛ ثم عادوا الثانية، وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج الْقِدْحُ على الإبل؛ ثم عَادُوا الثالثةَ وعبدُ المطلب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج الْقِدْحُ على الإبل؛ فنحرت، ثم تركت لا يُصَدُّ عنها إنسان ولا يُمْنَع [١١٠].

قال ابن هشام: ويقال: إنسان ولا سَبُع.

قال ابن هشام: وبين أضعاف هذا الحديث رَجَزٌ لم يصحَّ عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر.

امرأة من بني أسد تعرض نفسها على عبد الله

قال ابن إسحاق: ثم انصرف عَبْدُ المطلب آخذاً بيد عبد الله، فمرَّ به، فيما يزعمون، على امرأة[1] من بني أسَدِ بن عبد الْعُزَّى بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب (٢٨/ب) بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْرٍ، وهي أختُ وَرَقَة بن نَوْفَل بن أسَد بن عبد الْعُزَّى، وهي عند

---

[١١٠] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٩٨ ـ ١٠١) أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق بن يسار به.

وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧) عن ابن إسحاق.

وأخرجه: ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٧١ ـ ٧٢) أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي أخبرنا محمد بن عبد الله عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب عن ابن عباس بنحو حديث ابن إسحاق وإسناده ضعيف جدًا فقيه الواقدي وهو متروك.

---

(١) فمر على امرأة من بني أسد: اسم هذه المرأة رقيقة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل. وقال ابن قتيبة: إنما هي ليلى العدوية.

الكعبة، فقالت له حِين نظرت إلى وجهه: أيْنَ تذهب يَا عَبْدَ اللهِ؟ قال: مَعَ أَبِي، قَالَتْ: لَكَ مثلُ الإبل التي نُحِرَتْ عنك وَقَعْ عليَّ الآن!! قال: أنا مع أبي، ولا أستطيع خِلافه ولا فراقه.

عبد المطلب يزوج عبد الله آمنة بنت وهب

فخرج به عبدُ المطلب حتى أتى به وَهْبَ بن عبد مَنَاف بن زُهْرة بن كِلاَب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْرٍ، وهو يومئذٍ سيدُ بني زهرة نسباً وشَرَفاً، فزوَّجه ابنته آمنة بنت وَهْب، وهي يومئذٍ أفضلُ امرأةٍ في قريش نَسَباً ومَوْضِعاً، وهي لِبَرَّةَ بنتِ عبد الْعُزَّى بن عُثْمان بن عَبْد الدار بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فهر. وبَرَّةُ لأم حبيب بنت أسَدِ بن عبد الْعُزَّى بن قُصَي بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْرٍ؛ وأمُ حبيب لَبَرَّةَ بنتِ عَوْف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عَدِيّ بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْرٍ.

آمنة بنت وهب تحمل برسول الله ـ ﷺ ـ

فزعموا أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهَا حِين أُمْلِكَهَا مَكَانَهُ فَوَقَعَ عليها، فَحَمَلت برسول الله ـ ﷺ ـ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا، فَأَتَى الْمَرْأَةَ الَّتِي عَرَضَتْ عليه مَا عَرَضَتْ، فَقَالَ لَهَا: مَالِك لاَ تعرضين عليَّ اليوم ما كنتَ عرضت عليَّ بالأمس؟ قالت له: فَارَقَكَ النورُ الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليومَ حاجةٌ، وَقَدْ كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْ أَخِيهَا وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَل ـ وكان تَنَصَّر وَاتَّبَعَ الْكُتُبَ ـ أنه كَائِنٌ في هذه الأمة نبيٌّ [١١١].

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بنُ يَسَار أنه حُدِّث، أَنَّ عَبْدَ اللهِ إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بِنْتَ وَهْبٍ، وقد عملَ في طينٍ لَهُ، وبه آثارٌ مِنَ الطِّينِ، فَدَعَاهَا إِلَى نَفْسِهِ، فَأَبْطَأَتْ عَلَيْهِ لَمَّا رَأَتْ بِهِ مِن أثر الطين، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا فَتَوَضَّأَ وغَسَل مَا كَانَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ الطِّينِ، ثُمَّ خَرَجَ عامداً إلى آمنة، فمرَّ بها، فَدَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا، فَأَبَى عَلَيْهَا، وَعَمِدَ إِلَى آمنة فَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَأَصَابَهَا، فَحَمَلَتْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَرَّ بِامرأته تلك، فَقَالَ لَهَا: هَلْ لَكِ؟ قَالَتْ: لاَ، مَرَرْتَ بي وبين عينيك غُرَّةٌ بَيْضَاءُ، فدَعَوْتُكَ فأبيت عَلَيَّ، ودخلتَ على آمنة فذهَبَتْ بها [١١٢].

---

[١١١] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٠٢ ـ ١٠٣) من طريق ابن إسحاق. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨) من طريق ابن إسحاق. وله طرق أخرى عند ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٧٦ ـ ٧٧).

[١١٢] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٠٥) وفي «شعب الإيمان» (٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦) أخبرنا محمد =

قال ابن إسحاق: فزعموا أن امرأته تِلْكَ كَانَتْ تحدِّثُ أنه مَرَّ بها وبَيْنَ عينيه غُرَّةٌ مثلُ غُرَّةِ الفَرَسِ، قالت: فَدَعَوْتُهُ رَجَاء أَنْ تكون تلك بي، فأبى عليَّ، ودَخَلَ عَلَى آمنة، فَأَصَابَهَا، فحملت بِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

فكان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْسَطَ قومه نَسَباً، وأعظمهم شرَفاً، من قِبَلِ أبيه وأمه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويزعمونَ ـ فيما يتحدث النَّاسُ، واللهُ أَعْلَمُ ـ أَنَّ آمِنَةُ ابنة وَهْبٍ أُمَّ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ تُحَدِّث أنَّها أُتِيَتْ ـ حين حملت برسول الله ﷺ ـ فقيل لها: إنك قد حملت بسيِّد هذه الأُمَّةِ، فَإِذَا وَقَعَ إِلَى الأَرْض فَقُولِي: أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدْ، مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدْ، ثم سَمِّه محمداً. ورأَتْ ـ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ ـ أنه خَرَجَ منها نورٌ رَأَتْ بِه قُصورَ «بُصْرى»[1] مِنْ أَرْضِ «الشام».

وفاة عبد الله أبي النبي ﷺ

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ عبدُ الله بن عبد المطلب أبو رسولِ الله ـ ﷺ ـ أَنْ هَلَكَ وأُمُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَامِلٌ بِهِ[2] [١١٣].

= ابن عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: حدثني والدي إسحاق بن يسار به. وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٤٤) حدثنا ابن حميد ثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أبيه به ولهذا الكلام شاهد عن ابن عباس.

أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٠٧) من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس بنحو كلام إسحاق بن يسار. وله طريق آخر عن ابن عباس. أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٧٤). والخرائطي كما في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٠٨) من طريق مسلم بن خالد الزنجي عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس به. وللحديث طرق أخرى وشواهد لكنها ضعيفة ينظر لها «الطبقات الكبرى» (١/ ٧٦ ـ ٧٨).

[١١٣] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١١١) وفي «شعب الإيمان» (٢/ ١٣٦) من طريق محمد ابن =

---

(١) بُصرى ـ بباء موحدة مضمومة فصاد مهملة ساكنة فألف مقصورة ـ والمراد بها هنا بلد بالشام من أعمال دمشق. قال في المسْكة الفائحة: وفي تخصيص بصرى لطيفة، وهي أنها أول موضع من بلاد الشام دخلها ذلك النور المحمدي، وكذلك هي أول ما افتتح من بلاد الشام.
ينظر: السبل (١/ ٣٤١).

(٢) هَلَكَ وأم رسول الله ﷺ حامل به يعني: عبد الله والد رسول الله ﷺ، كذا قال ابن إسحاق.
وهذا ما جزم به ابن إسحاق ورجحه الواقدي وابن سعد والبلاذري، وصححه الذهبي وقال ابن كثير إنه المشهور. وقال ابن الجرزي: إنه الذي عليه معظم أهل السِّير، ورواه الحاكم وصححه، وأقره الذهبي عن قيس بن مخرمة رضي الله تعالى عنه.

وِلاَدَةُ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

زمان ولادة النبي ﷺ

قال: حدثنا أبو محمدٍ عبدُ الملِك بن هشام (٢٩/أ)، قال: حدثنا زيادُ بنُ عبد الله البَكَّائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي، قال: وُلد رسول الله ـ ﷺ ـ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّل، عام الفيل[1] [١١٤].

= إسحاق. أما أخبار آمنة بنت وهب أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى فله شواهد من حديث العرباض بن سارية.

ـ حديث العرباض بن سارية

أخرجه أحمد (٤/ ١٢٧ ـ ١٢٨) والحاكم (٢/ ٦٠٠) وابن حبان (٢٠٩٣) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

[١١٤] أخرجه الحاكم (٢/ ٦٠٣) والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٧٤) وفي «شعب الإيمان» (٢/ ١٣٥) رقم (١٣٨٧) كلهم من طريق سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق به. وأخرجه ابن سعد في =

= وذكر الدولابي وغيره أنه توفي ورسول الله ﷺ في المهد قيل: ابن شهرين، وقيل: أكثر من ذلك.

وروى ابن سعد عن محمد بن كعب، وعن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة رحمهما الله تعالى قالا: خرج عبد الله إلى الشام إلى غزة في عير من عيرات قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجاراتهم، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله يومئذ مريض، فقال: أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار. فأقام عندهم مريضاً شهراً ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن ابنه فقالوا: خلّفناه عند أخواله بني عدي بن النجار مريضاً، فبعث عبد المطلب أكبر ولده الحارث فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة فرجع فأخبره فوجد عليه عبد المطلب وعماته. وإخوته وأخواته وجداً شديداً. ورسول الله ﷺ حَمْل، ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة.

قال الواقدي: وهذا أثبت الأقاويل في وفاة عبد الله وسنه. وقال الحافظ العلائي وابن حجر إن عمره كان يوم توفي ثماني عشرة سنة قال الواقدي: ولم يتزوج عبد الله قط غير آمنة. وآمنة لم تتزوج قط غير عبد الله.

(١) قال ابن كثير: وهو المشهور عند الجمهور. وقال إبراهيم بن المنذر الحزامي شيخ البخاري: وهو الذي لا يشك فيه أحد من العلماء. وبالغ خليفة بن خياط وابن الجزار وابن دحية وابن الجوزي وابن القيّم فنقلوا فيه الإجماع.

وروى البيهقي والحاكم في المستدرك وصححه وأقره الذهبي في مختصره، وصححه في تاريخه الكبير عن يحيى بن معين، عن حجاج بن محمد، عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الفيل.

قال الحافظ في شرح الدرر: والمحفوظ لفظ العام. وقيل: يطلق اليوم ويراد به مطلق الوقت، كما يقال يوم الفتح، ويوم بدر، فإن كان المراد حقيقة اليوم فيكون أخص من الأول وبذلك صرح ابن حبان في تاريخه فإنه قال: ولد عام الفيل في اليوم الذي بعث الله فيه الطير الأبابيل على أصحاب =

قال ابن إسحاق: وحدثني المُطَّلِبُ بن عبد الله بن قَيْس بن مَخْرمة، عن أبيه، عن جده قال: وُلِدْتُ أنا وَرسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفِيلِ، فَنَحْنُ لِدَتَانِ[1] [١١٥].

= «الطبقات الكبرى» (١/ ٨٠) عن أبي جعفر محمد بن علي قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول. وإسناده ضعيف جدًا الواقدي شيخ ابن سعد متروك.

وأخرج ابن سعد أيضاً (٢/ ٨٠ ـ ٨١) عن الواقدي قال: كان أبو معشر نجيح المدني يقول: ولد رسول الله ﷺ لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول. وإسناده ضعيف جدًا كسابقه. واختلف في يوم ميلاده ﷺ اختلافاً كثيراً وعلى أقاويل متعددة ذكرها الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣١٩ ـ ٣٢٠).

[١١٥] أخرجه أحمد (٤/ ٢١٥) والترمذي (٥/ ٥٨٩) كتاب المناقب: باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ حديث (٣٦١٩) والحاكم (٢/ ٦٠٣) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٨٥)، والبيهقي في «دلائل النبوّة» (١/ ٧٦) وخليفة بن خياط في «تاريخه» (ص ٢٦) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٤٣) رقم (٨٧٣) كلهم من طريق محمد بن إسحاق بهذا الإسناد. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من طريق محمد بن إسحاق وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي قلت: قد وهما في ذلك كما سيأتي بيانه فالمطلب بن عبد الله بن قيس لم يرو عنه غير محمد بن إسحاق فهو مجهول.
وقال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٢٥٤) مقبول: يعني عند المتابعة وإلا فهو لين كما نص على ذلك الحافظ في مقدمة التقريب. وأيضاً المطلب لم يرو له إلا الترمذي فقط وروى له هذا الحديث الواحد. وأيضاً محمد بن إسحاق استشهد به البخاري في الصحيح وروى له مسلم في المتابعات وهو ليس على شرطهما أيضاً. ومنه تعلم وهم الحاكم في حكمه على هذا الحديث ومتابعة الذهبي له على هذا الوهم. ومنه أيضاً تعلم وهم الترمذي في حكمه على هذا الحديث. =

= الفيل. قال: ثم وجدت الحديث عن ابن مسعود عن يحيى بن معين بسنده المذكور قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الفيل يعني عام الفيل.
ينظر السبل (١/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥).

(١) ويروى: فنحن لدان، والمشهور فيه لدتان بالتاء، يقال فلان لدة فلان، إذا ولد معه في وقت واحد. وسأل عثمان بن عفان قباث بن أشيم الكناني ثم الليثي: يا قباث أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أسن منه ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ووقفت بي أمي على خذق الفيل أخضر محيلا.
وعلى هذا فقيل بعد الفيل بخمسين يوماً. قال ابن كثير: وهو أشهر. وصححه المسعودي والسهيلي. وزاد أنه الأشهر والأكثر وقيل بزيادة خمس.
وذكر أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي رحمه الله تعالى أن قدوم أصحاب الفيل مكة لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم. وقد قال ذلك غيره. وزاد يوم الأحد. وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة.
وروى ابنُ سعد وابن عساكر عن أبي جعفر الباقر رحمه الله تعالى قال: كان قدوم أصحاب الفيل في النصف من المحرم ومولد رسول الله ﷺ بعده بخمس وخمسين ليلة. وصحح الحافظ الدمياطي هذا القول. وقيل بأربعين يوماً. وقيل بشهر وستة أيام. وقيل بعشر سنين. وقيل بثلاثين عاماً. وقيل بأربعين عاماً. وقيل بسبعين عاماً.

قال ابن إسحاق: وحدثني صَالِحُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْف، عن يَحْيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سَعْد[1] بن زُرَارة الأَنصاري، قال: حدَّثَني مَنْ شئت من رجال قومي، عن حَسَّان بْنِ ثَابِتٍ، قال: واللهِ إِنِّي لَغُلاَمٌ يَفَعَة[2] ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، أو ثَمَانٍ، أَعْقِلُ كلَّ مَا سَمِعْت؛ إِذْ سَمِعْتُ يَهُودِيًّا يَصْرخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ عَلَى أُطُمِهِ[3] بِيَثْرِبَ: يا مَعْشَرَ يَهُودَ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ قَالُوا لَهُ: وَيْلَكَ مَالَكَ!! قَالَ: طَلَعَ اللَّيْلَةَ نَجْمُ أَحْمَدَ الَّذِي وُلِدَ بِه[4] [١١٦].

= وللحديث شاهد من حديث ابن عباس

أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٧٥) من طريق يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ولد النبي ﷺ عام الفيل. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٨١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٧٥ ـ ٧٦) من طريق يحيى بن معين أخبرنا حجاج بن محمد عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

[١١٦] إسناده ضعيف

=

---

(١) ابن سعد بن زرارة، كذا وقع والصواب فيه: أسعد بن زرارة.

(٢) غلام يفعة: معناه قوي قد طال قده، مأخوذ من اليفاع، وهو العالي من الأرض. فأما الغلام اليافع فهو الذي راهق الحلم.

(٣) الأُطُمُ: الحصن، ومن قال على أطمة فإنه أنث على معنى البقعة.

(٤) الصواب: أنه ﷺ ولد يوم الاثنين. روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن يوم الاثنين فقال: «**ذاك يوم ولدت فيه. أو قال أنزل علي فيه**».

وروى يعقوب بن سفيان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين واستنبىء يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين.

وفي بعض الطرق عند ابن عساكر: وأنزلت سورة المائدة يوم الإثنين: ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وكانت وقعة بدر يوم الاثنين.

قال ابن عساكر: المحفوظ أن وقعة بدر ونزول: ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يوم الجمعة.

وروى الزبير بن بكّار وابن عساكر عن معروف بن خَرَّبُوذ رحمه الله تعالى قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين حين طلع الفجر.

وقال الحافظ أبو الفضل العراقي في المورد: الصواب أنه ﷺ ولد في النهار، وهو الذي ذكره أهل السير. وحديث أبي قتادة مصرح به.

وروى الأربعة عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال: ولد رسول الله ﷺ عند إبهار النهار، وجزم به ابن دحية، وصححه الزركشي رحمه الله تعالى في شرح البردة ولبعضهم في ذلك [من الكامل]:

يَا سَاعَةً فَتَحَ الهُدَى أَزْفَادَهَا ... لُطْفاً وَقَدْ مَنَحَ الجَزَا إِسْعَادَهَا

لاَحَتْ بِشَهْرِ ربيعِ الزاكي الذي ... فَاقَ الشُّهُورَ جَلاَلَةً إِذْ سَادَهَا

حيثُ النبوة أشرقتْ بمآثرٍ ... كالشُّهب لا يُحصى الورَى تَعْدادَهَا

حَيْثُ الأَمَانَةُ والرِّسَالَةُ قَدْ بَدتْ ... يُغْلي لِمَكَّةَ غَوْرَهَا ونِجَادَهَا

ينظر: السبل (١/ ٣٣٣).

قال محمد بن إسحاق: فَسَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانِ بن ثَابِتٍ، فَقُلْتُ: ابْن كَمْ كَانَ حَسَّانُ بن ثَابِتٍ مَقْدَمَ رسولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدينةَ؟ فقال: ابْنَ سِتِّينَ، وقدمها رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وخمسين سنةً، فسمع حَسَّانُ مَا سَمِعَ وهو ابنُ سَبْعِ سِنِين [١١٧].

ولادته وتسميته ﷺ

قال ابن إسحاق: فَلَمَّا وَضَعَتْهُ أُمُّهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَتْ إِلَى جدِّه عبْد المُطَّلِبِ أَنَّهُ قد وُلِدَ لَكَ غُلامٌ فأْتِهِ فانْظُرْ إليه، فَأَتَاهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، وحَدَّثَتْهُ بمَا رَأَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ، وما قِيلَ لَهَا فِيه، وَمَا أُمِرَت بِهِ أَنْ تُسَمِّيه، فيزعمون أَن عَبْدَ المُطَّلِبِ أَخَذَهُ فَدَخَلَ بِه الكَعْبَةَ، فَقَامَ يَدْعُو الله وَيَشْكُرُ لَهُ مَا أَعْطَاهُ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا؛ والْتَمَس لِرَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمِ الرُّضَعَاءَ [١١٨].

قال ابن هشام: المَرَاضِع، وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: ١٢].

رضاعه وسبب مرضعته وزوجها

قال ابن إسحاق: فَٱسْتَرْضَعَ لَهُ امرأةً من سَعْد بن بكر يُقَال لها حَليمة ابنة أبي ذُؤَيْبٍ[(١)]، وأبو ذؤيب: عبدُ الله بن الحرث بن شِجْنَة بن جَابِرِ بن رِزَامِ بن نَاصِرَةَ بن قُصَيَّةَ[(٢)] بنِ نَصْرِ بن سَعْدِ بن بَكْرِ بن هَوَازِنَ بن مَنْصورِ بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قَيْسِ بن

= لجهالة شيوخ يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن وأخرجه الحاكم (٣/ ٤٨٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٠٩ ـ ١١٠) من طريق محمد بن إسحاق وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) من طريق ابن إسحاق.

[١١٧] ينظر «دلائل النبوة» للبيهقي (١/ ١١٠). وذكره الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥١٣) عن ابن إسحاق.

[١١٨] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١١١ ـ ١١٢) من طريق ابن إسحاق. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٢٤) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) وقال ابن الكلبي: اسم أبي ذؤيب الحارث بن عبد الله بن سجنة. قال البلاذري: وهو الثبت. قال النووي رحمه الله تعالى: كنية حليمة أم كبشة اسم أبيه الذي أرضعه الحارث بن عبد العزى. ينظر: السبل (١/ ٣٧٨).

(٢) قال الشيخ أبو ذر في نسب والد حليمة: بن قصيَّة بن نصر، يروى بالفاء والقاف وصوابه بالفاء، وهو في الأصل النواة من التمر.

عَيْلاَنِ، وَٱسْمُ أَبيه الَّذِي أَرْضَعَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحرثُ بن عبد الْعُزَّى بْن رِفَاعَةَ بْنِ مَلاَّن، بنِ نَاصِرَةَ بن فُصَيَّة بْنِ نَصْرِ بن سَعْدِ بْن بكرِ بْنِ هَوَازَن.

قال ابن هشام: ويقال: هِلاَلُ بْنُ نَاصِرَة.

إخوة النبي ﷺ من الرضاعة

قال ابن إسحاق: وإِخْوَتُهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ: عبدُ الله بن الحَرِثِ، وأُنَيْسَةُ بِنْتُ الحَرِثِ، وجِذَامَةُ[1] بِنْتُ الحَرِثِ، وهي الشَّيْماء، غَلَبَ ذَلِكَ عَلَى اسْمَها فلا تُعْرَفُ في قومِها إلاَّ بِهِ، وهم لحلِيمةَ بنتِ أبي ذُؤَيْب عبدِ الله بن الحرث أمِّ رسول الله ـ ﷺ ـ، ويذكرون أنَّ الشَّيْمَاء كَانَتْ تَحْضُنه مَعَ أُمِّهِ إِذْ كَانَ عِنْدَهُمْ [١١٩].

حليمة السعدية تحدث عن أخذها رسول الله ـ ﷺ ـ

قال ابن إسحاق: وحدثني جَهْمَ مَوْلَى الحَرِثِ بْنِ حَاطِبٍ الْجُمَحِيِّ، عن عَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَرِ بن أبي طَالِبٍ، أو عمن حدثه عنه، قال: كَانَتْ حليمةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْب السَّعْدِيَّةُ (٢٩/ ب) أُمُّ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي أرضعته تُحَدِّث أنها خَرَجَتْ مِنْ بَلَدِهَا مَعَ زَوْجِهَا وابنٍ لها صغيرٍ تُرْضعه[2]؛ في نِسْوةٍ من بني سعد بن بكر تَلْتَمِسُ الرُّضَعَاء، قالت:

---

[١١٩] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٣١ ـ ١٣٢) من طريق ابن إسحاق. وينظر «البداية والنهاية» (٢/ ٣٣٣).

---

(١) جِذَامَةُ ٱبنة الحارث: هكذا روي بخاء معجمة مكسورة وذال معجمة، وروي أيضاً: جدامة بجيم مضمومة ودال مهملة، وحذافة بحاء مهملة مضمومة وذال معجمة وفاء، قيَّدها أبو عمر النمريُّ وهو الصَّواب.

(٢) قال الحافظ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى: الظاهر أن حليمة لم تدرك البعثة.
قال الحافظ في شرح الدُّرر: وهو غير مسلم، فقد روى أبو يعلى والطبراني وابن حبَّان، عن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال: حدثتني حليمة. وعبد الله إنما ولد بعد البعثة بمدة، بل لم يتهيأ له السماع من حليمة إلا بعد الهجرة بسبع سنين أو أكثر، لأنه قدم من الحبشة مع أبيه وهو صغير ليلة الغزوة في خيبر سنة سبع، وحليمة إنما قدمت في هذه المدة أو بعدها بسنة في الجعرانة.
ومستند ابن كثير كثير الاختلاف على ابن إسحاق في حديث حدَّثه عبد الله، فمنهم من قال: عبد الله بن جعفر، عن حليمة. ومنهم من قال: عن عبد الله بن جعفر حدثتني حليمة.
قلت: ليس هذا مستنده إنما مستنده قول من قال: عن عبد الله بن جعفر حدِّثت عن حليمة. والله تعالى أعلم.
قال الحافظ: فرأى ابن كثير أن هذه علة تمنع من الجزم بإدراك عبد الله بن جعفر لها، وليست هذه في التحقيق علة، فإن الشواهد التي تدل على إدراك عبد الله بن جعفر لها كثيرة وأسانيدها جيدة.
وروى ابن سعد بسند رجاله رجال الصحيح، عن محمد بن المنكدر ـ مرسلاً ـ قال: استأذنت امرأة =

= على النبي ﷺ. قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال: أمي أمي! وعمد إلى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه انتهى.

قلت: ويجاب عن رواية: «حُدّثت عن حليمة» أنه سمع منها بعض القصة وبعضها عمن سمع منها أو أنه سمع ممن روى عنها. ثم سمع منها. والله تعالى أعلم.

وقد ألف الحافظ مغلطاي رحمه الله تعالى جزءاً في إيمانها وهذه خلاصته مع زيادة:

روى البخاري في الأدب وأبو داود والطبراني وابن حبان في صحيحه عن أبي الطفيل رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يقسم لحماً بالجعرانة ـ وأنا يومئذ غلام أحمل عظم الجزور ـ إذ أقبلت امرأة حتى دنت إلى رسول الله ﷺ فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت: من هذه؟ قالوا هذه أمه ﷺ التي أرضعته.

وقول الذهبي: يجوز أن تكون هذه ثويبة مردود بما ثبت أنها توفيت سنة سبع من الهجرة.

ثم ذكر الحافظ مغلطاي حديث الرضاع ثم قال: فإن قيل: ما وجه الاستدلال من هذين الحديثين؟ قلنا: من وجوه: الأول: دفع شبهة من زعم أن القادمة في حنين أخته ﷺ لأنه يستبعد أن تكون عمّرت إلى ذلك الحين تخرصاً من غير يقين، لأن رواية هذين الصحابيين عنها مشافهة مع صغرهما يقرب ذلك الاستبعاد.

قلت: قال الحافظ بعد أن أورد عدة آثار في مجيء أمه ﷺ من الرضاعة إليه ثم قال: ففي تعدد الطرق ما يقتضي أن لها أصلاً أصيلاً، وفي اتفاق الطرق على أنها أمه رد على من زعم أن التي قدمت عليه أخته، وزاعم ذلك هو الحافظ الدمياطي رحمه الله تعالى والله تعالى أعلم.

وقد ذكرها في الصحابة جماعة. قال أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة في تاريخه: ذكر ما انتهى إلينا من سند النساء اللاتي روين عن النبي ﷺ ثم قال: باب الحاء: حليمة بنت أبي ذؤيب وقال الحافظ أبو محمد المنذري في مختصر سنن أبي داود: حليمة أمه ﷺ أسلمت وجاءت إليه وروت عنه عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى في الحدائق: قدمت حليمة ابنة الحارث على النبي ﷺ بعد ما تزوج خديجة فشكت إليه جدب البلاد فكلم خديجة فأعطتها أربعين شاة وبعيراً، ثم قدمت عليه بعد النبوة فأسلمت وبايعت وأسلم زوجها الحارث.

وقال القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله تعالى: لما وردت حليمة السعدية على رسول الله ﷺ فبسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي قدمت على أبي بكر فصنع لها مثل ذلك.

قلت: هذا كلام القاضي في الشفاء وروى ابن سعد عن عمر بن سعد مرسلاً قال: جاءت ظئر النبي ﷺ فبسط لها رداءه وقضى حاجتها ثم جاءت أبا بكر ففعل ذلك، ثم جاءت عمر ففعل ذلك والله تعالى أعلم.

الوجه الثاني: أن لفظ الأم لا ينطلق عرفاً ولغة إلا على الأم الحقيقية، ولم نر من يسمي الأخت أما، على أنه قد جاء ما يدفع هذا لو قيل به.

وروى أبو داود بسند صحيح عن عمرو بن السائب رحمه الله تعالى أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست إليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله ﷺ وأجلسه بين يديه.

وذكر أبو عمر عن زيد بن أسلم رحمه الله تعالى عن عطاء بن يسار قال: جاءت حليمة ابنة عبد الله =

شَهْبَاءَ[1] لم تُبْقِ لَنَا شَيْئاً، قالت: فخرجتُ على أَتَانٍ لِي قَمْرَاءَ[2] مَعَنا شَارِفٌ[3] لنا واللهِ ما تَبِضُّ[4] بِقَطْرَةٍ، وما نَنَامُ لَيْلَنَا أجْمَعَ من صَبِيِّنَا الذي مَعَنَا، مِنْ بُكَائِه مِنَ الجُوعِ، ما في ثديي ما يُغْنِيهِ، وَمَا فِي شَارِفِنَا ما يُغَذِّيه[5] (قال ابن هشام: ويقال: يُغَذِّيه) ولكنا كُنَّا نَرْجُو الْغَيْثَ والْفَرَجَ، فخرجتُ عَلَي أَتَانِي تِلْكَ، فَلَقَدْ أَدَمَّتْ بالرَّكْبِ[6] حتَّى شَقَّ ذلك عليهم ضَعْفاً وعَجَفاً[7]، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاء، فَمَا مِنَّا امرأةٌ إلاَّ وقَدْ عُرِضَ عليها رسولُ اللهِ ﷺ فَتَأْبَاهُ، إِذَا قِيلَ لَهَا: إِنَّهُ يَتِيمٌ، وذَلِكَ أَنَّا إِنَّما كنا نرجو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ، فكنا نقول: يتيم!! وَمَا عَسَى أَن تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ؟ فكنَّا نكرهه لذلك، فما بقيت

= أم النبي ﷺ، فقام لها النبي ﷺ، وبسط لها رداءه فجلست عليه. وهو مرسل جيد الإسناد.

الوجه الثالث: ليس لقائل أن يقول: سلمنا أن القادمة أمه ﷺ، فما الدليل على إسلامها حينئذ؟ ولعل الدليل من قول من قال أسلمت وبايعت. وقول من قال: روت عن النبي ﷺ. وروي عنها.

قال الحافظ مغلطاي رحمه الله تعالى: ورأيت ليلة الأحد ثاني وعشرين شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة في المنام عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام وسألته عنها فقال مجيباً: رضي الله تعالى عنها. ثم قال الحافظ مغلطاي: أنشدنا الإمام العالم العلامة أبو الحسن علي بن جابر الهاشمي رحمه الله تعالى لنفسه [من الكامل]:

أَمَـا حَـلِـيـمَـةُ مُـرْضِـعُ الـمُـخْـتَـارِ ... فَـبِـهِ غَـدَتْ تَـزْهَـى عـلـى الأَخْـيَـارِ

فـي جَـنَّـةِ الـفِـرْدَوْسِ دَارُ مُـقَـامِـهَـا ... أَكْـرِمْ بِـهَـا يَـا صَـاحِـبِـي مِـنْ دَارِ

قال الحافظ مغلطاي رحمه الله تعالى ورضي عنه: ومما قلته فيها من الأبيات رضي الله تعالى ونفعنا بها [من الكامل]:

أَضْحَتْ حَلِيمَةُ تَزْدَهِي بِمَفَاخِرٍ ... مَا نَالَهَا فِي عَصْرِهَا إِنْسَانِ

مِنْهَا الْكَفَالَةُ وَالرِّضَاعُ وَصُحْبَةٌ ... وَالْغَايَةُ الْقُصْوَى رِضَا الرَّحْمَنِ

ينظر: سبل الهدى والرشاد (١/ ٣٨٢ ـ ٣٨٤).

(١) سنة شهباء: يعني سنة الجدب والقحط، لأن الأرض تكون فيها بيضاء.

(٢) الأتان: الأنثى من الحمر، والقمراء: التي في لونها بياض.

(٣) الشارف: الناقة المسنَّة.

(٤) قال الخُشني: تَبِضُّ ـ بالضاد المعجمة معناه: ما تنشغ ولا ترشح، ومن رواه: ما تبص، بالصاد المهملة، فمعناه: لا يبرق عليها أثر لبن، من البصيص وهو البريق واللمعان.

(٥) وما في شارفنا ما يغذيه، كذا وقع من لفظ الغذاء، ومن رواه: «ما يُعزِّيه» فمعناه: ما يقنعه ولا يمنعه من البكاء. يقال: أعزيت الرجل عن الشيء إذا منعته منه. وقال ابن هشام: يغذيه، هذا من لفظ الغذاء، ومن رواه يعذيه بالعين المهملة، فمعناه: ما يشبعه بعض الشبع، مأخوذ من النبات العذي، وهو الذي يشرب في الصيف والشتاء بعروقه من الأرض دون أن يسقى.

(٦) أدمت بالركب: أي أطلت عليهم المسافة لتمهلهم عليها، مأخوذ من الشيء الدائم، ومن رواه أذمَّت، فمعناه: تأخرت بالركب، أي تأخر الركب بسببها، والضمير الذي في أذمَّت يرجع إلى الأتان.

(٧) العجف: الهزال.

امرأة قدِمَت معي إلا أخذتْ رَضيعاً غيري، فلما أجْمَعْنَا الإنطلاقَ قُلْتُ لِصَاحِبي: واللهِ إني لأكره أنْ أرجع من بين صَوَاحبي ولم آخذَ رضِيعاً، واللهِ لأذْهَبَنَّ إِلَى ذلك اليتيم فَلآخُذَنَّه، قال: لاَ عَلَيْكِ أنْ تَفْعلِي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بَرَكَةً، قالت: فذهبْتُ إليه فأخذْتُه، وما حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إلاَّ أني لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ، قالت: فلما أخذْتُه رجعتُ به إِلَى رَحْلِي، فلما وضعتُهُ في حِجْرِي أقبَلَ عَلَيه ثَدْيَايَ بما شاء مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ، وشَرِبَ مَعَهُ أخُوه حتّى رَوِيَ، ثُمَّ نَامَا، وما كُنَّا نَنَامُ مَعهُ قبل ذلك، وقام زَوْجِي إِلَى شَارِفِنَا تلك فإذا إنَّها لَحَافِل[1] فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِبَ، وشرِبتُ معه حتى انتهينا رِيًّا وشِبَعاً، فبتنا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ، قالت: يقول صاحبي حِينَ أَصْبَحْنَا: تَعْلَمِي واللهِ يا حليمةُ لقد أخذت نَسَمَةً مُبَارَكَةً، قالت: فقلت: واللهِ إنِّي لأرجو ذَلِكَ، قالت: ثُمَّ خَرَجْنَا وركِبْتُ أتاني وحملتُهُ عليها مَعِي، فواللهِ لَقَطَعْتُ بالرَّكْبِ، ما يَقْدر عليها شَيءٌ مِنْ حُمُرِهم، حَتَّى إنَّ صَواحبي لَيَقُلْنَ لي: يا ابنة أبي ذُؤَيْبٍ، ويحكِ!! ارْبَعِي علينا[2]، أليست هذه أتانَكِ التي كُنْتِ خَرَجْتِ عَلَيْهَا؟ فأقول لهُنَّ: بلى واللهِ إنها لَهِيَ هِيَ، فيقلن: واللهِ إنَّ لها لَشَأناً، قالت: ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا من بلاد بني سَعْدٍ، وما أعلمُ أرضاً من أرض الله أجْدَبَ منها، فكانت غنمي تَرُوحُ عليَّ حين قدِمنا به معنا شِباعاً لُبَناً[3]، فنحلبُ ونشربُ، وما يحلب إنسانٌ قطرةَ لبنٍ ولا يجدها في ضَرْع، حتى كان الحاضرون[4] من قومنا يقولون لرعيانهم: وَيْلَكُمْ!! اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ راعي بنت أبي ذُؤَيْبٍ، فتروح أغنامهم جِيَاعاً ما تَبِضُّ بقطرة لبنٍ، وتروحُ غَنَمِي شِبَاعاً لُبَناً، فلم نزل نتعرف مِنَ اللهِ الزيادةَ والخيرَ حتى مَضَت سَنَتَاهُ، وفَصَلْتُهُ، وكان يَشِبُّ شَبَاباً لا يَشُبهُ الْغِلْمانُ، فلم يبلُغ سَنَتَيْه حتى كان غُلاَماً جَفْراً[5] قالت: فَقَدِمَنا بِهِ عَلَى أُمِّهِ، ونَحْنُ أحْرَصُ شيءٍ على مُكْثِه فينا؛ لما كُنَّا نرى من بَرَكَتِهِ، فَكَلَّمْنَا أمَّه، وقلت لها: لو تركتِ بُنَيَّ عِنْدي حتى يغلُظَ فإني أخشى عليه وَبَأَ[6] مكةَ، قالت: فلم نَزَلْ بها حتى (٣٠/أ) رَدَّته معنا، قالت: فرجعنا به.

---

(١) الحافل: الممتلئة الضرع من اللبن، الحفل: اجتماع اللبن في الضرع، والمحفلة: التي تجمع لبنها في ضرعها أياماً.

(٢) أربعي علينا: أي أقيمي وانتظري، يقال ربع فلان على فلان، إذا أقام عليه وانتظره. وقال الشاعر: عودي علينا واربعي يا فاطما.

(٣) اللُّبَنُ: الغزيرات اللبن.

(٤) الحاضر: جماعة القوم المجتمعون على الماء.

(٥) جفراً: أي غليظاً شديداً، ومنه الجفر والجفرة من المعز، ويقال هو الصبي ابن أربعة أعوام أو نحوها.

(٦) الوبأ مهموز ومقصور: كثرة الأمراض والموت. =

فواللهِ إنه ـ بعْدَ مَقْدمنا بأشهرٍ ـ مع أخيه لَفِي بَهْمٍ[1] لنا خلَف بُيوتنا إِذْ أَتَانَا أَخُوهُ يشتدُّ، فقال لي ولأبيه: ذاكَ أخي القرشيُّ قد أخذه رَجُلاَنِ عليهِما ثيابٌ بيضٌ فأضجعاهُ فَشَقَّا بَطْنَهُ، فهما يَسُوطانه[2] قالت: فخرجتُ أنا وأَبُوهُ نَحْوَهُ، فوجدناه قائماً مُنْتَقِعاً وَجْهُهُ[3] قالت: فَالْتَزَمْتُهُ والتزَمُه أَبُوهُ، فقلنا له: مَالكَ يَا بُنَيَّ؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بِيضٌ فأَضْجَعَانِي وشَقَّا بَطْني، فالْتَمَسا فيه شيئاً لا أَدْرِي مَا هُوَ، قالت: فَرَجَعْنَا إِلَى خِبَائِنَا، قَالَتْ: وقال لي أبوه: يا حليمةُ، لقد خشيت أَنْ يَكُونَ هذا الغلام قَدْ أُصِيبَ، فَأَلْحِقيه بِأَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ بِهِ.

حليمة تخاف فترجع به إلى أمه

قالت: فاحتملناهُ فقدمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ، فقالت: ما أَقْدَمَكِ به يا ظِئْر[4] وقد كُنْتِ حَرِيصَةً عليه وعلى مُكثه عِنْدَكِ؟ قالت: فقلت: نَعَمْ قد بَلَغَ الله بِابني وقَضَيْتُ الَّذِي عليّ[5]، وتخوَّفْتُ الأحدَاثَ عليه، فأدَّيْتُه عليك كما تحبين، قالت: مَا هَذَا شَأْنَكِ فأصدقيني خَبَرَكِ، قالت: فلم تَدَعْني حتى أخبرتها، قالت: أَفَتَخَوَّفْتِ عليهِ الشَّيْطَانَ؟ قالت: قلت: نعم، قالت: كَلاَّ!! واللهِ ما للشَّيْطَانِ عليهِ مِنْ سَبِيلٍ، وإِنَّ لِبُنَيَّ لَشَأنا، أفلا أخبرك خبره؟ قالت: قلت: بَلَى، قالت: رأيتُ حِينَ حملتُ به أنهُ خَرَجَ مِنِّي نورٌ أضاء لي به قصورُ بُصْرَى[6] من أرضِ الشَّامِ، ثم حملتُ به، فواللهِ ما رَأيت مِنْ حَمْلٍ قَط كان أخفَّ ولا أيْسَرَ منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضعٌ يَدَهُ بالأرضِ، رافعٌ رأسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، دعيه عنك وانطلقي راشدةً [١٢٠].

---

[١٢٠] إسناده ضعيف مسلسل بالعلل. =

---

(١) البَهْمُ: الصِّغار من الغنم، واحدتها بهمة.

(٢) فهما يسوطانه، يقال: سطت اللبن والدم وغيرهما أسوطه، إذا ضربت بعضه ببعض وحركته. واسم العود الذي يضرب به المسوط.

(٣) منتقعاً وجهه: أي متغيراً، يقال انتقع وجه الرجل إذا تغير، ويقال: امتقع بالميم أيضاً.

(٤) الظِّئْرُ: أصل الظِّئر الناقة التي تعطف على ولد غيرها فتدر عليه، فسميت المرأة التي ترضع ولد غيرها ظئراً بذلك.

(٥) قال السهيلي: «وكان رد حليمة إياه إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر فيما ذكر أبو عمر، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين: إحداهما بعد تزوجه خديجة رضي الله عنها، جاءته تشكو إليه السنة وإن قومها قد أسنتوا فكلم لها خديجة فأعطتها عشرين رأساً من الغنم بقرات، والمرة الثانية يوم حنين» اهـ كلامه.

(٦) بُصرى: مدينة من أرض الشام، وتقدم بيانها.